تفسير آية التطهير

<"xml encoding="UTF-8?>

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرا [١][٢].

أجمع المفسرون من الخاصة والعامة أن هذه الآية المباركة نزلت في شأن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها الصلاة والسلام والحسن والحسين عليهما السلام , وفي آخر هذا المبحث سأذكر بعضاً من روايات الفريقين.

تحقيق معنى (الرجس) :

تقلب معنى كلمة (الرجس) , في القرآن الكريم وفي كتب اللغة , على المعاني التالية :

١/النجاسة [قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ] [٣] . في هذه الآية الشريفة جاءت كلمة (رجس) بمعنى النجس كما قال:

(أ) الشيخ الطبرسي في تفسير هذه الآية حيث يقول [فَإِنَّهُ رِجْسٌ] : أي نجس , الرجس إسم لكل شيء مستقذر , منفور عنه ... "[٤].

(ب) يقول الشيخ الطوسي : " الرجس : هو النجس بلا خلاف "[٥].

(ج) الفاضل الطريحي يقول : " وظاهره أنه لا خلاف بين علمائنا في أنه في الآية بمعنى النجس "[٦].

(د) وقال الفيروز آبادي : " الرجس بالكسر , القذر , ويحرك. وتفتح الراء وتكسر الجيم , والمأثم , وكل ما استقذر من العمل , والعمل المؤدي إلى العذاب , والشك , والعقاب , والغضب "[٧].

(هـ) وقال العلامة الفيومي (ت ٧٧٠هـ) : " الرجس: النتن و(الرجس) القذر. قال الفارابي : وكل شيء يستقذر فهو (رجس) . وقال النقاش : (الرجس) : النجس . وقال في (البارع): وربما قالوا (الرجاسة) والنجاسة أي جعلوهما بمعنى ... وعلى هذا فقد يكون الرجس والقذر والنجاسة بمعنى ... "[٨].

(و) وقال الزبيدي : " قال الزجاج : الرجس : كل ما استقذر من العمل , بالغ الله تعالى في ذم هذه الأشياء , فسماها رجسا "[٩].

(ز) وقال ابن منظور الأفريقي: " الرجس: القذر, وقيل الشيء القذر. ورجس الشيء رجاسة , وإنه لرجل مرجوس , وكل قذر رجس , ورجل مرجوس ورجس : نجس . ورجس: نجس. قال ابن دريد : وأحسبهم قد قالوا : رجس نجس , وهي الرجاسة والنجاسة "[١٠].

٢/ بمعنى اللعنة والعذاب في الدنيا والآخرة] في قوله تعالى[كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ] [١١]

٣/ بمعنى الكفر في قوله تعالى[ْفَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ] [١٢]. بمعنى أنهم ازدادوا كفرا على كفرهم .

٤/ بمعنى العمل القبيح , والنجس , والفاسد , والشرير في قوله تعالى[إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] [١٣].

وبصورة عامة يقسم الرجس إلى معان أربعة :

(أ) كل شيء يكون في نظر الإنسان نجساً وموضع تنفره كالنجاسات.

(ب) كل شيء يكون نجساً فاسداً ومنفوراً منه كالشرك والشك بالله تعالى .

(ج)كل ما كان في نظر الشرع نجساً ومنفوراً منه كالشرب[١٤] والقمار ولحم الخنزير.

(د) كل شيء ينفر منه الإنسان في جميع جهاته كالميتة .

إذاً جاءت كلمة (الرجس) في آية التطهير بصورة مطلقة , تشتمل على جميع هذه المعاني , وربما على غيرها ولكن في معانيها.

التحقيق في معنى الطهارة :

الطهارة في اللغة : بمعنى ضد النجاسة أي الطهر والنظافة والطهارة. والطاهر بمعنى غير نجس أي الطاهر النظيف .

وفي اصطلاح الفقهاء : القيام بأي عمل لرفع الحدث والخبث بصورة شرعية.
وقد جاء في القرآن الكريم بعض هذه المعاني :

١/ بمعنى طهارة الجسم من النجاسات وتهذيب الأخلاق في قوله [فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ][١٥] ، ويقصد سبحانه وتعالى (مسجد قبا) الذي يتجمع فيه الرجال بقصد تطهير أنفسهم وتهذيبها.

٢/ بمعنى انقطاع دم الحيض في النساء وغسلهن بالماء في قوله تعالى [فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ] [١٦].

٣/ بمعنى النظافة من الإثم والمعصية , والنظافة من الحدث والخبث في قوله تعالى [وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] [١٧].

٤/ بمعنى الطهارة من الباطل والكذب والزور والانحراف الخلقي في قوله[رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفاً مُّطَهَّرَةً] [١٨].

٥/ بمعنى الطهارة من الحيض والنفاس والحدث , والطبع الشرير الفاسد , وسوء الخلق في قوله تعالى[وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ] [١٩].

٦/ بمعنى الطاهر (غير نجس) وسائغ في قوله تعالى [وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً][٢٠].

٧/ بمعنى النظافة الكلية التي يعبر عنها معنى قوله تعالى البس لباساً طاهراً نظيفاً خالياً من كل عيب [وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ] [٢١].

وقد فسر العلماء قوله تعالى [وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ]بعدة معان :

(أ) بمعنى أصلح عملك , وطهر ثيابك .

(ب) بمعنى عدم التكبير , والتبخير , والمفاخرة , وقد كان جارياً عند الناس في عهد الجاهلية ارتداء الملابس الفاخرة كالحرير والديباج والتزين بكل زينة والتفاخر بالمال.

(ج) بمعنى غسل الملابس من الوسخ والنجاسة وجعلها نظيفة , كما يقوم الناس في يومنا بغسل الملابس بالماء والصابون لتنظيفها .

(د) بمعنى تقصير الملابس لكي لا يجر الشخص رداءه على الأرض خلفه أثناء السير.

ومن الممكن أن المعاني الأربعة جميعها صحيحة , وقد وردت روايات عن الأئمة الأطهار عليهم الصلاة والسلام تؤيد المعاني التي ذكرناها , ليشمل الخطاب جميع المسلمين رغم أن ظاهر الآية يخاطب سبحانه وتعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم.

فستنتج من التحقيق الذي سبق ذكره أن كلمة (طهارة) التي وردت في الآية المباركة , تفيد معنى الطهارة من النجاسات , وإصلاح العمل , وعدم التكبر والمفاخرة , والاغتسال من الأوساخ , وتهذيب النفس , والطهارة من الحدث و الخبث , والإثم والأعمال الباطلة , والكذب , وقول الزور ، والانحراف عن الطريق المستقيم , وزوال العقل.

ولكون إطلاق الآية الكريمة , فيستفاد منها جميع المعاني بتأييد كلمات الأئمة المعصومين عليهم الصلاة والسلام لما نقول .

_____

[١] كتاب الولاية ج١ – للميرزا عبد الرسول الحائري.

[٢] سورة الأحزاب ، الآية :٣٣

[٣] سورة الأنعام ، الآية : ١٤٥

[٤] مجمع البيان : ٢/٣٧٨

[٥] التهذيب

[٦] مجمع البحرين ٤/٧٤

[٧] القاموس المحيط : مادة (رجس)

[٨] المصباح المنير : مادة (رجس)

[٩] تاج العروس : مادة (رجس)

[١٠] لسان العرب : مادة (رجس).

[١١] سورة الأنعام ، الآية : ١٢٥

[١٢] سورة التوبة ، الآية : ١٢٥

[١٣] سورة المائدة ، الآية : ٩٠

[١٤] شرب الخمر.

[١٥] سورة التوبة ، الآية : ١٠٨

[١٦] سورة البقرة ، الآية : ٢٢٢

[١٧] سورة المائدة ، الآية : ٦

[١٨] سورة آل عمران ، الآية : ١٥

[١٩] سورة الإنسان ، الآية : ٢١

[٢٠] سورة آل عمران ، الآية : ١٥

[٢١] سورة الإنسان ، الآية : ٢١